تلخيص محاضرة

المسـؤولـية

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

٢٦ / ١٠ / ١٤٤٢ هـ

٧ / ٦ / ٢٠٢١ م

إن العالم اليوم يشهد من الظلم، والسفول الأخلاقي والعدوان الواضح مالم تشهده البشرية من قبل. وبناءً على ذلك قد نشعر بالعجز عن إحداث أي تغيير بالرغم من معرفتنا أن هذه التغييرات سيمتد ارتداداتها على أبنائنا وأحبابنا فنحن لسنا بمأمن. فهل يجب علينا أن نتحمل المسؤولية؟ أم أن نقف كالمتفرجين فقط؟

إن المسؤولية التي علينا ضخمة ولن يكون أحد منا في مأمن عن السؤال عنها يوم القيامة، فكل فرد منّا عبارة عن ترس في هذا المجتمع فاجعل دورك إيجابيًا لتؤثر بإيجابية. هذه المسؤولية التي يجب أن نرثها جيلاً عن جيل، ويجب أن يعرفها الجميع. نحن أمة محمد ﷺ وهذه من مسؤولياتنا وهذا الهدف الذي يجب أن نعيش عليه. سنتحدث اليوم عن ثلاث مجالات للمسؤولية وتحت كل واحدةٍ منها خمس مسؤوليات.

١/ المسؤولية الفردية:

أول ما نحاسب عليه، ولايمكن أن نبدأ بآمال كبرى إن لم نبدأ بأنفسنا. ومسؤولياتنا اتجاه أنفسنا هي:

1.رفع الجهل عنها:

نحن مطالبين برفع الجهل عن أنفسنا إلى أن نموت. يجب ألّا نتوقف عند شهادة جامعية أو حتى دكتوراه، فمن قال وصلت للكمال فليعرف أنه لم يصل لشيء بعد، بل يجب أن نزدد ترقيًا في مدارج العلم، لأن الإنسان عدو ما يجهل، ولا يعنى بذلك العلم الاجتماعي أو السياسي أو غيره، وإنما يعنى بذلك العلم الشرعي فهو العلم الحقيقي الذي يثبّت الإنسان في زمن اختلاط المفاهيم الآن، ولذلك لايمكن أن نعيش بنفس المدخلات، إذا أردت أن تغيرَّ مخرجاتك، وتصبح إنسان أفضل، يجب أن تتغير مدخلاتك التي تدخلها لمداركك حتى تتغير.

2.أن تـعمل على تهـذيـب نـفسك وتـزكـيتها وتعبيدها لربها:

إن كل واحد منا يعرف ماهي النقاط السلبية في داخـله، وكـيفية تـعبيد نـفسه وتهـذيـبها. مـن المسؤولية أن تهذب نفسك على الصعيد الأخلاقي للحفاظ على علاقتك من الناس، فكيف بعلاقتك مع الـله؟ كلما بـدأت بشيء لم تسـتمر فـيه، انتهـى رمضان فهل ينتهي شوال وأنت لم تصم الست منه ولا القضاء، فهل هذا صحيح؟ أن تكون علاقتك مع الله بهذا الفتور والتأخر، ولا يكون لك ولا عمل صالح تفعله بعد رمضان. وصلاتك تكون باردة بدون روح وبدون خشوع، فهل هذا الشيء صحيح؟ ما الذي يؤخرك عن الله؟ لماذا أنت بقيت على نفس عملك ولم تتغير شيء لربما منذ ثلاث سنوات أو خمس سنوات، وأنت هو أنت لازلت على نفس عهدك، فما الذي يؤخرك؟ هذهِ الأسئلة حين تطرحها، وتضعها نصب عينيك، تعرفك على مسؤوليتك اتجاه نفسك، لتتلمس هذهِ الثغور وتصلحها.

3.أن تعمل على إصلاح قلبك وحمايته:

إن صلاح القلب من صلاح المدخل، وليس له أي طريق إلا بالأذن والبصر، فإذا كنا نريد صلاح القلب فيجيب أن نحميه، فتحمي عينيك من كل منظر سيء، أي منظر ممكن أن يجرح إيمانك يحمي الإنسان بصره عنه، ويحمي كذلك أذنه من غيبة وهمز وكذب ومن موسيقى وغناء فاحش وكل شيء مما حرمه الله تعالى، لا سبيل لصلاح القلب دون هذين الأثنين. وأسأل الله تعالى أن لا يختم لك بخاتمة سوء إلا أن يكون ما يشغل ذهنك هو خير.

4.أن تـعمل على فـكاك رقـبتك بـفعل الخيرات وترك المنكرات:

تـوجـد عـبادات نـفعلها بـشكل بـدهـي، ونـشعر أنـها ليسـت بجـديـدة فـنحن نـفعلها! ولـكني أريـدك أن تـشعر أنـها مـهمة. حـياتـنا ليسـت حـياة عـاديـة نـعيشها! لابد أن لا تكون إنجازاتك فيها قليلة؛ لأن العمر يفوتك ولأننا في كل يوم نحن نقترب من القوس النهائي لحياتنا، فلدينا قوس ابتدأنا به وهـو يـوم ولـدنـا، وقـوس ننتهـي بـه وهـو يـوم الـوفـاة، كـل يـوم نـعيشه وكـل يـوم مـع غـروب الشمس نحن نقترب من النهاية، ولذلك مهم أن تـعمل على فـكاك رقـبتك بـفعل الخيرات وتـرك المـنكرات، فـكل خير سـمعت عـنه هـل تسـتطيع أن يكون لك نصيب منه؟ فافعل.

5.أن تعمل على ثباتك:

كيف يمكننا أن نثبت على أعمال الخير ونستديمها؟ هنا يكمن التحدي، فالجميع يصل لمرحلة التعب، ويغريه النعاس، لكن من ذا الذي يصدق فيقوم ليصلي الليل لله ويدعوه؟ القضية ليست أنك قد صليت، ولكن القضية أن الله رآك ورأى صدقك، وقد استقطعت وقتًا من راحتك لتختم يومك بالصلاة والدعاء. ولنا في الأب المعلم، الذي كانت له أيادٍ بيضاء د.صالح الحميدان -رحمه الله-، وقد كتب الله له أن يموت في سنة الفجر قبل أن يذهب إلى صلاة الفجر. هذه الخاتمة ليست بالشيء الهين، بل شيء يحتاج إلى عمل، فالدين ليس حماسة، نفعله فقط في رمضان و بعد رمضان نذهب عنه. قال تعالى: "قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا*وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا" (الشمس: 9-10) وصفٌ لهذا الشخص الذي خاف من نفسه فودَّ لو يخيفها يوم القيامة من الشر الموجود فيها. إن مسؤوليتك اتجاه نفسك الآن أن تعمل على الثبات.

٢/ المسؤولية المجتمعية:

المجتمع القريب منك و تختلط به، أنت مسؤول أيضًا تجاهه بخمس مسؤوليات، هي:

1.أن ترصد العالم حولك بسلبياته وإيجابياته:

لا تكن شخص لا يعلم ماذا يحدث حوله، فهناك تغييرات كبيرة تحدث في العالم، مهم جدًا أن تنتبه للمجتمع الذي تخالطه، هل أحدهم تغير؟ هل تغييره للأحسن؟ أو للأسوأ؟ لابد أن تعرف ماذا يحصل حولك لأن الناس حولك سوف تصلك ارتداداتهم شئت أنت أم أبيت. هل هذا التغيير عندما يمر عليك تتجاهله؟ أو تنتبه للتغيير الذي طرأ وترصده، وأن أعداد المتساقطين أصبحت في ازدياد، فكيف آمن أن أصل إلى ماوصوا إليه؟ عندما تجد أن المئة التي تسبقك قد سقطت ما الذي يضمن أنك ستكون بذلك الثبات؟ لهذا وجب عليك أن ترصد سلبيات هذا العالم، وتنتبه من حولك وترصد تحولات العالم، وذلك بسبب غلبة الشهوات والشبهات، أصبح الحرام أقرب إلينا، و من منا كعفة يوسف -عليه السلام- حتى لاينزلق في هذا؟

2.أن ترفع الجهل عن من هم حولك:

يجب أن ننصح ونتناصح، قال النبي ﷺ : "بَلِّغُوا عَنِّي ولو آيَةً" المصدر: صحيح البخاري ولا ييأس الإنسان من تكرار النصح ففي كل مرة يجب أن يُرى عدم رضاك واستنكارك للمنكر. مالذي يمنع أن تتحدث مع الكبار أو الصغار؟ من الممكن أن نبدأ بالصغار فكتب كـ:حلية الوقار-الرجل النبيل- أسماء الله الحسنى لعلي الفيفي، من الكتب التي يمكن تبسيطها للأطفال؛ بحيث يؤسس الطفل قبل أن يكبر ويصعب توجيهه وتأسيسه. هذا العمر تحديدًا يسمى بوقت الجودة وهو الوقت الذي تفتعل الأم فيه نقاشًا مع أطفالها وتسمع لهم وتعلق عليهم، وهذا جزء من المدخلات. لا يمكن أن نتخيل أبناؤنا وبناتنا يخرجون بمخرج صحيح مالم تكن المدخلات منذ البداية صحيحة، ومايدخل لهم شيء رهيب من القنوات من وسائل التواصل، يتعرضون لكمٍ هائل من المعلومات، لذلك فمسؤوليتنا أن نرفع الجهل عنهم وعن المجتمع.

3.أن تحسن تربية من هم حولك:

أهل السنة هم أرحم الخَلْقِ بالخُلُقِ، ومعناه أن لايتوقف نصحهم وتوجيههم، وأن تعمل على صلاحهم وتربيتهم. قد نفهم ذلك مع العائلة، لكن كيف أفعلها مع الأصدقاء أو الزملاء أو غيرهم؟ هناك مايسمى التربية بالمقال، التربية بالكلمة، التربية بالموقف، التربية بالقدوة. إذا أنت عملت على تربيتهم بموقفك وثباتك ستؤثر حتماً.

ستذهب السيئات وموجات الموضى ويبقى عندالله من ثبت ومن تراجع. هناك فرقٌ بين من سلك منحنى طويل، ثبت وسار لله بطريق مستقيم، وبين من أخذ منحنى طويل وجرب المعصية ثم عاد، لايتساوى مع من ثبت واستقام ولايرجو إلا ماعندالله، الله سبحانه لاينساها له، ولذلك من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله شابٌ نشأ في طاعة الله.

4.أن تعمل على توجيه طاقاتهم وتستخرج مواهبهم:

اجعل لك هدفًا أكبر عند الحديث مع من حولك. تفقد كل من تتحدث معه واستخرج مواهبه وشجعه أن يبذل طاقته في الخير، عندما يشعر الناس أنهم قدموا شيئا مفيداً سيشعرون بلذة وهي لذة الرضا من خلال عمل تطوعي أو عمل فارق في المجتمع. أحد الشباب عندما توفي ذكر أصحابه أنه عندما مات فلان احتجنا إلى ٢٠ شخص ليسدوا مسده. إذن هناك اشخاص وفاتهم وفاة أمة؛ لأنهم من يعطون النور في المجتمع.

5.تحويلهم من أشخاص لديهم موقف عدائي للدين إلى اشخاص يحبون الدين وأهله:

العالم كله يشهد تحفز وتوتر ضد الإسلام، وقد تكون علامة من علامات يوم القيامة، فمهم جدًا أن يكون لديك ولأسرتك دور في التعريف عن الإسلام سواء بخلقٍ أو مظهر. و من المهم أيضًا أن نصحح المغالطات التي تُنشر وتبث بسيناريوهات مكذوبة لتشويه صورة المسلمين والإنسان المتدين. هل أنت مسؤولٌ عن مجتمعك؟ نعم، قال تعالى:"لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ*كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" (المائدة:78-79). يقول ابن كثير -رحمه الله- :أنَّ هؤلاء كانوا يأكلون الربا صباحًا ثم يؤآكلون بعضهم البعض مساءً، ولعنوا لأنهم كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه، فحتى الذين لم يذنبوا تم لعنهم لأنهم لم ينهوهم ورضوا المعصية.

٣/ المسؤولية العالميـة:

لا يمكن أن تكون مسلماً ويكون إسلامك في حدود نفسك و مجتمعك الضيق. لأنّ عليك مسؤوليةً أكبر اتجاه العالم، وهي:

1.أن تعرف القضايا في البلاد وتهتم لأمرهم:

هل هناك من يُؤذى منهم؟ هل هناك من هو مظلوم؟ أو يُعذب من أجل دينه ومن أجل لا إله إلا الله؟ هل قرأت عن الإيغور وماذا يحصل لهم في سجون التعذيب؟ هل قمت برواية ما يحدث لهم خلال مئات السنين لأهلك ومن هم حولك؟

حينما نتحدث عن الإيغور أو المنمار أو فلسطين فيجب على كل من صحت عقيدته وصح دينه أن يشعر بأن هذه القضية قضيته.

2.أن تستغرق وسعك في نصرة المسلمين في كل بلد:

يجب أن تعين بقدر ما تستطيع في نصر المسلمين في أي بلاد من بقاع الأرض سواءً أقلية مسلمة مضطهده أم بلاد مسلمة فقيرة. مقطع عرضته إحدى القنوات عن الفقر في الهند في قرية مسلمة غالبيتها نساء مع أطفالهم، لأن الرجال يذهبون للمدينة من أجل العمل، فتبقى النساء في أشباه بيوت ولا يوجد لأطفالهن سوى حليب الأم، عند سماع مثل هذه القصص نظن أن كل ما يمكننا فعله هو استشعار نعمة الله ولكن يجب التفكير بأكثر من ذلك، فنحن مطالبين بأن نستفرغ الوِسع في نشر الإسلام في أي بلد سواءً في التفكير أو العمل. يجب علينا أن نحوّل المعرفة إلى عمل ننصر فيه حقيقة، نوصل رسالة ونعيل إخواننا المسلمين المحتاجين بكل ما نستطيع.

3.أن تحمي جناب التوحيد بدعوة المسلمين في بلدانهم:

كم من المسلمين يشهدون أن لا إله إلا الله ولكن يجهلون بعضًا من أمور الدين أو أركان الإسلام؟ وهؤلاء سيُحاسبنا ويسألنا الله عنهم، فواجبنا كمسلمين أن يكون لدينا همّ وعلم بما يحصل لإخواننا المسلمين وأن نحمي جناب التوحيد بدعوة إخواننا وتوعيتهم سواءً بسبب الجهل أو بسبب عدم الفهم الصحيح والفراغ الروحي.

4.أن تعمل على دعوة غير المسلمين:

لسنوات عديدة قامت جمعية ركن الحوار بدعوة غير المسلمين بمشروع حقائب الصيف وهي عبارة عن بطاقات مكتوبة بعدّة لغات فيها دعوة عن المنشأة، فكان يأخذ منها كل من سافر للبلدان الخارجية بلغة أهل البلد. هذه فكرة فقط للدعوة ويجب التفكير بأي طرق أخرى للدعوة، ويمكن أن تكون أنت سفير بكونك قدوة ونموذج وأن تدعو غير المسلمين بحالك قبل مقالك.

موقع جمعية ركن الحوار:

https://edialoguec.com

5.أن ترفع البلاء بمحاولة إصلاح هذا العالم:

فكل خطوةٍ إصلاحيةٍ تقوم بها، تقلل من الفساد والهلاك العام. حينما تحدث النبي ﷺ عن نزول العذاب سألته عائشة-رضي الله عنها-: "قلت: يا رسول الله، أنهلِكُ وفيها الصَّالحون؟ فقال النبي ﷺ: نعم، إذا ظَهَرَ الخَبَثُ" المصدر: صحيح الترمذي.

قال ابن باز-رحمه الله-: الذي لا يهتم لأمر المسلمين وينظر إلى نصيحتهم والدفاع عنهم إذا حصل عليهم خطر ونصر المظلوم وردع الظالم ومساعدتهم على عدوهم ومواساة فقيرهم، إلى غير هذا من شؤونهم فليس منهم. وهذا من باب الوعيد وليس معناه أن يكون كافرًا، ولذلك يحث الرسول ﷺ على التراحم بين المسلمين والتعاون. إذن، ليس لأحدٍ منا عذر بأن يقول ليس لي علاقة بقضايا المسلمين، أفضل من يمكن أن نهديه أعداؤنا، أن نتحول إلى أناس همهم بحدودِ أقطارهم، وأن يكون كل واحدٍ منا مشغول بنفسه وبمجده الشخصي وبحدوده الجغرافيّة.

يقول العلماء: ثبّت الله هذا الدين بأبي بكر-رضي الله عنه- في حروب الردّة، وبالإمام أحمد-رحمه الله- في فتنة خلق القرآن.

عندما يكون لديك فكرة يجب أن تتحمل مسؤوليتها، خصوصًا لكونك من أهل الحق.

النتائج ليست مهمة، لكن سعيك مهم! ليس لأي أحدٍ عذر بالتقاعس عن تحمل المسؤوليات، تستطيع أن توصل صوتك بعدة وسائل من حولك.

سيسألك الله عنه ماذا فعلت في هذا الحدث الذي عايشته؟ كيف كان دورك؟ وكيف قاومت؟ كيف أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر؟ كيف بينت الحقيقة؟ ماذا سيكون ردك؟

كيف نتحمل المسؤولية؟

هناك خمس نقاط ستساعدك في تحملك للمسؤولية، وهي:

- أولًا:

ليس لأي مؤمن انطلاقة من نفسه، انطلاقتنا الأولى يجب أن تكون من المحراب، صلّ ركعتين وادعُ في سجودك أن يبارك الله فيك.

- ثانيًا:

أن تشحن نفسك بعلمٍ شرعي، حتى تستطيع أن تنقذ نفسك ومن هم من حولك.

- ثالثًا:

أن تتحمل المسؤولية بأن يكون لدينا قليلاً من المشاعر مع إخوانك المسلمين، فتحزن لحزنهم وتفرح لفرحهم.

- رابعًا :

أن تتحمل المسؤولية بنفسك، فلا ننتظر توكيل من أحد لك لتبدأ، أبدأ من نفسك.

- خامسًا:

رقّي نفسك في المدارج.

هذه هي المسؤولية التي سيسألنا الله عزوجل عنها، وضعتها مني في رقابكم.
أسأل الله العظيم أن يعيينا وإياكم على حملها وعلى أدائها وأن يجعلنا مباركين أينما كنّا.

بإمكانك متابعة وقراءة محاضرات رواء الاثنين، من خلال زيارة مدونة رَوَاء : https://rawaa.org/